مجلة بحوث
كلية الآداب

البحث (١٧)

التحليل البلاغى لخصائص التراكيب فى الحديث النبوى الشريف فى عمدة القارى

إعداد
الباحث / خالد عبد السلام إبراهيم مصطفى الشافعى
للرجة الماجستير بقسم اللغة العربية - كلية الآداب - جامعة المنوفية

تحت اشراف
أ.د / عيد محمد شبايك
الاستاذ بقسم اللغة العربية - كلية الآداب - جامعة المنوفية

ابريل ٢٠١٦م
العدد (١٠٥)
السنة ٢٧
http : // Art.menofia . edu. eg *** E- mail: rifa2012@ Gmail.com

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

"التحليل البلاغي لخصائص التراكيب في الحديث النبوي الشريف في عمده القاري"

الباحث: خالد عبد السلام إبراهيم مصطفى الشافعي،
لدرجة الماجستيرقسم اللغة العربية كلية الاداب جامعة المنوفية
تحت اشراف
أ.د/عيد محمد شبايك
الاستاذ بقسم اللغة العربية بكلية الاداب – جامعة المنوفية

المقدمـة :-

لقد حظى كتاب صحيح البخاري بما لم يحظ به غيره من كتب الحديث الشريف ؛ وذلك لما اشتهر عنه من أنه أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى ،وقد تنوعت اتجاهات العلماء في الشرح والتحليل، ومن العلماء الذين شرحوا هذا الكتاب شرحا مستفيضا وركز على البلاغة والمعاني، بل كان يفرد عنوانا خاصا في شرحه للحديث يقول: بيان المعاني، هو الإمام بدر الدين العيني – أكرمه الله وأسكنه فسيح جناته– حيث إنه كان يشير في معظم تعليقاته إلى المصطلحات والمسائل البلاغية، سواء أكان موافقا للبلاغيين أم مخالفا لما أثر عنهم.

وكان الإمام العيني أحد العلماء البارزين في هذا الشأن ، فهو عالم حديث متقن، ولغوي نحوي بارع متفنن ، ذو تأليف كثيرة مفيدة يصعب حصرها ، من أجلّها "**عمدة القاري في شرح صحيح البخاري**"؛ إذ هو من أهم شروح صحيح البخاري وأوسعها نقلا، وتحقيقاً ؛ فغدا موسوعة حديثية، تتوارد فيها البحوث اللغوية والنحوية والصرفية والبلاغية، فضلا عن المسائل الفقهية والفوائد العلمية.

فضخامة الكتاب لا تخفى على مُطَالِعه ؛ فقد تجاوز عشرة آلاف صفحة، تشتمل على علوم حديثيه ولغوية ونحوية وصرفية وبلاغية، لو أفرد كل منها بالبحث والدراسة؛ لكون رسالة علمية متكاملة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

موضوع البحث :-

انطلاقاً مما سبق ذكره كان مُنطلقنا واختيارنا موضوع :التحليل البلاغي لخصائص التراكيب في الحديث الشريف في كتاب عمدة القاري شرح صحيح البخاري للإمام العيني، حيث وجدت في نفسي رغبة شديدة في دراسة هذا الموضوع، ومن ثم معايشة حديث النبي صلى الله عليه وسلم والإفادة من واحد ممن شرحو صحيح الإمام البخاري .

أسباب اختيار الموضوع

لقد كانت دوافع اختيار هذا الموضوع انطلاقا من الاعتبارات التالية :

١- إيمانى بأن موضوع هذا البحث من أجلّ ما يصرف طالب العلم فيه وقته وجهده ، ذلك لأنه مرتبط بكلام النبي ﷺ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم ٣ ،٤]

٢. يقيني بأن السنة النبوية زاخرة بالبلاغة والفصاحة والبيان .

٣. اعتقادي بأن دراسة شراح الحديث ، مما يضيف جديدا للبلاغة العربية فإننا نجد في كتب شراح الحديث بلاغة لا نجدها في كتب البلاغة ؛ لأن شرح الحديث تحليل وفهم وذوق .

٤. إدراك جمال الأسلوب وخصائص التراكيب من خلال البحث في علم المعاني .

أهمية الموضوع :

- هذا الموضوع يسمح للباحث بالاطلاع على أمهات الكتب .
- ابتغاء الأجر العظيم من الله تعالى بالتدبر في السنة النبوية المطهرة ، واستشرافا بمنزلة العلم، فضلا عما امتاز به كلام النبي صلى الله عليه وسلم من معان وبيان تظهر كوامنها مع البحث .

الدراســـــات السابقة :-

وقد أُنجزت رسالات وبحوث علميه حول جهود العيني النحوية واللغوية ، وقد نال الإمام بدر الدين العيني الكثير من الدراسات والبحوث أذكر منها :

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١. الدراسات النحوية في عمدة القاري للعيني (سامي عبد الله فرحان الجميلي) ، رسالة دكتوراه، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، رسالة دكتوراه ، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م

٢. شرح خطبة فرائد القلائد للبدر العيني دراسة وتحقيق (د / محمد بن محمود فجال) ، دراسة علمية كلية الآداب ، جامعة الملك سعود .

٣. الاحتجاج النحوي بالحديث النبوي عند الإمام بدر الدين العيني في ضوء كتابه عمدة القاري (د/ محمد عبد القادر هنادي) باحث وأستاذ جامعي في بالمدينة المنورة .

إلا أن نصيب العيني من الدراسات البلاغية قليل؛ لذلك آثرت أن أوجه جهدي لدراسة التحليل البلاغي لخصائص التراكيب في الحديث النبوي الشريف في عمدة القاري.

مادة البحث :

وقد وجدت في مادة البحث أنها غزيرة لغزارة أحاديث رسول الله ﷺ، ومن هنا حرصا على الخروج بنتائج دقيقة في البحث فقد اقتصرت على عينة تمثل النماذج المختارة الأساسية في الأحاديث خصوصا التي شرحها – الإمام بدر الدين العيني– بنفسه، وأشار إلى مادتها البلاغية، وبالتالي تصبح هي عينة البحث الرئيسية.

المنهج المتبع:

إن العلاقة المنهجية التي تربط بين الموضوع والمنهج تجعلهما متلازمين، فطبيعة الموضوع هي التي تحدد المنهج الواجب اتباعه قصد الإحاطة بأهم جوانب الموضوع ، وعلى ذلك اعتمد الباحث في دراسته على المنهج التحليلي، الذى يقوم على الاستقراء والتتبع للظاهرة البلاغية، سواء منها ما يتعلق بالمصطلح أو المعنى، وذلك من خلال منطوق الحديث النبوي الشريف ، وما علق عليه الإمام العيني.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

خطة الموضوع :

وقد اقتضت خطة الدراسة أن تقوم على مقدمة ، وتمهيد، وخمسة فصول وخاتمة، متبوعة بالفهارس والمراجع المستخدمة في البحث، على النحو التالي :-

المقدمة: وفيها تناول الباحث: موضوع البحث وأسباب اختيار الموضوع وأهمية الموضوع ، والدراسات السابقة ومادة البحث و المنهج المتبع في الدراسة

التمهيد: وفيه مطلبان :

- **المطلب الأول:** التعريف بالإمامين (البخاري وبدر الدين العيني)
- **المطلب الثاني:** التعريف بكتاب عمدة القاري.

الفصل الأول: التحليل البلاغي لأحوال الإسناد الخبري ، وفيه أربعة مباحث:

- **المبحث الأول:** أغراض الخبر.
- **المبحث الثاني:** أضرب الخبر ومؤكداته.
- **المبحث الثالث:** خروج الخبر عن مقتضى الظاهر.
- **المبحث الرابع:** التعبير بالخبر في موضع الإنشاء.

الفصل الثاني: بعنوان: التحليل البلاغي للإنشاء، وفيه ثلاثة مباحث :

- **المبحث الأول:** أسلوب الاستفهام .
- **المبحث الثاني:** أسلوب الأمر.
- **المبحث الثالث:** أسلوب النهي.

الفصل الثالث: التحليل البلاغي للتعريف والتنكير.، وفيه مبحثان:

- **المبحث الأول:** التعريف.
- **المبحث الثاني:** التنكير.

الفصل الرابع: التحليل البلاغي للجملة، وفيه مبحثان:

- **المبحث الأول:** التقديم والتأخير.
- **المبحث الثاني:** القصر.
- المبحث الثالث :الحذف والذكر.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الخامس: التحليل البلاغي للجمل، وفيه ثلاثة مباحث :

- المبحث الأول: الالتفات.
- المبحث الثاني: الفصل والوصل.
- المبحث الثالث: الإيجاز والإطناب.

ثم تأتي الخاتمة وفيها أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة، ثم الفهارس الفنية، والمصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

وهذا نموذج من البحث أتحدث فيه عن الالتفات :

الالتفـات

حقيقة الالتفات :-

مأخوذ من التفات الإنسان عن يمينه وعن شماله، يقول ابن فارس " اللام والفاء والتاء كلمةٌ واحدة تدلُّ على اللَّيِّ وصرف الشيء عن جهتِهِ المستقيمةِ منه يقال لَفَتُّ الشَّيءَ: لوَيْتُه، ولفَتُّ فلاناً عن رأيه: صرفْتُه..، ومنه الالتفات، وهو أن تَعدِل بوجهك "[1] والالتفات في اصطلاح جمهور البلاغيين :"هو التعبير بطريقة من الطرق الثلاثة –أي التكلم أو الخطاب أو الغيبة – بعد التعبير عنه بطريق آخر منه"[2] وهو "خلاصة البيان التى حولها يدندن وإليها تستند البلاغة، وعنها يعبر عن"[3]

الالتفات من الأساليب العربية في اللغة العربية ، وقد عرفه الجاهليون كامرئ القيس الذي قال: "وقد التفت امرؤ القيس ثلاث التفاتات في ثلاثة أبيات:

تَطَاوَلَ لَيْلُكَ بالأثْمُدِ ... ونَامَ الخَلِيُّ، وَلَمْ تَرْقُدِ

وَباتَ وَباتَتْ لَهُ لَيْلَةٌ ... كَلَيْلَةِ ذِي العائِرِ، الأرْمَدِ

وذلكَ من نَبَإٍ جاءني ... وَخُبِّرْتُهُ عَنْ أبي الأسْوَدِ

وقال الزمخشري :" وقد التفت امرؤ القيس ثلاث التفاتات في ثلاثة أبيات .ثم قال :"وتلك على عادة افتنانهم في الكلام وتصرفهم فيه ولأن الكلام إذا نقل من أسلوب

١- ينظر: مقاييس اللغة ٢٥٨/٥
٢- ينظر: مفتاح العلوم ص ١١٢،والايضاح ٨٦/٢/١
٣- ينظر: المثل السائر ٢/٢

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع وإيقاظا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد وقد تختص مواقعه بفوائد".(٤)

والقيمة من الالتفات نلمحها فى أنه "من هذه الأنواع التي تُحدِثُ في النفس حركة الانتباه قصداً، ليتقرر فيها ما تلتفت إليه تنشيطا لداعي التأثر به، وهو في الكلام كما في الأجسام : تحويل وجهه إلى جهةٍ أخرى غير ما ينتظر المخاطب، وقد جاء في بيانه الكريم ﷺ رائعا محكما ،مثيرا للنشاط النفسي في أماكن يُطلب فيها التقرير واسترعاء الانتباه، فهو صورة صادقة للحس النبوي عند التكلم".(٥)

مفهوم الالتفات بين التوسعة والتضييق وبيان وجهة العيني

من البلاغيين من جرى على نهج ابن المعتز، فى تضييق دائرة الالتفات ، وقصرها على لون واحد من ألوان الظاهرة ، هو" المخالفة بين الضمائر"، ومنهم من ذهب إلى توسيع تلك الدائره حتى شملت إلى جانب هذا اللون ألوانا أخرى تماثله في مسلكه التعبيري.

- **أما الفريق الأول:** فهو جمهور البلاغيين أمثال الزمخشري والسكاكى والخطيب القزوينى والبلاغيين المتأخرين الذين عنوا بشرح كتاب "التلخيص" لهذا الأخير.
- **وأما الفريق الثاني:** فمن أبرز أعلامه ضياء الدين بن الأثير (ت٦٣٧هـ)، فقد قَسَّم الالتفات فى كتابه "المثل الثائر" أقساما ثلاثة: يدور الأول والثاني منها حول "مجال الضمائر "وهما: الرجوع عن الغيبة إلى الخطاب وعن الخطاب إلى الغيبة ، أما الثالث فهو المخالفة فى مجال الصيغ ، وهو ماعبر عنه بقوله :"الرجوع عن الفعل المستقبل إلى فعل الأمر ،وعن الفعل الماضى إلى فعل الأمر ،والإخبار عن الفعل الماضى بالمستقبل وعن المستقبل بالماضى.

٤- ينظر: معجم المصطلحات البلاغية ٢٩٤/١، والكشاف ٥٦/١.
٥- ينظر: الحديث النبوي من الوجهة البلاغية ص ٣٤٦

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وفي كتابه "الجامع الكبير" يضيف ابن الأثير إلى المجالين السابقين الالتفات في مجال العدد، وهو ما عبر عنه بقوله: "الرجوع من خطاب التثنيه إلى خطاب الجمع ، ومن خطاب الجمع الى خطاب الواحد، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [يونس : ٨٧]

يتضح ذلك من خلال توجيهه لما ورد في حديث أسماء أنها قَالَتْ: "أَتَيْتُ عَائِشَةَ وَهِيَ تُصَلِّي فَقُلْتُ: مَا شَأْنُ النَّاسِ؟ فَأَشَارَتْ إِلَى السَّمَاءِ، فَإِذَا النَّاسُ قِيَامٌ، فَقَالَتْ: سُبْحَانَ اللَّهِ، قُلْتُ: آيَةٌ؟ فَأَشَارَتْ بِرَأْسِهَا: أَيْ نَعَمْ، فَقُمْتُ حَتَّى تَجَلَّانِي الغَشْيُ، فَجَعَلْتُ أَصُبُّ عَلَى رَأْسِي المَاءَ، فَحَمِدَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ النَّبِيُّ ﷺ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: **مَا مِنْ شَيْءٍ لَمْ أَكُنْ أُرِيتُهُ إِلَّا رَأَيْتُهُ فِي مَقَامِي، حَتَّى الجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَأُوحِيَ إِلَيَّ: أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي قُبُورِكُمْ - مِثْلَ أَوْ - قَرِيبَ - لاَ أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ - مِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ، يُقَالُ مَا عِلْمُكَ بِهَذَا الرَّجُلِ؟ فَأَمَّا المُؤْمِنُ أَوِ المُوقِنُ - لاَ أَدْرِي بِأَيِّهِمَا قَالَتْ أَسْمَاءُ - فَيَقُولُ: هُوَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالهُدَى، فَأَجَبْنَا وَاتَّبَعْنَا، هُوَ مُحَمَّدٌ ثَلاَثًا، فَيُقَالُ: نَمْ صَالِحًا قَدْ عَلِمْنَا إِنْ كُنْتَ لَمُوقِنًا بِهِ. وَأَمَّا المُنَافِقُ أَوِالمُرْتَابُ - لاَ أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ - فَيَقُولُ: لاَ أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ**" . (٦)

يقول العيني:" في توجيه قوله ﷺ :"ما علمك بهذا الرجل "الْخطاب فِيهِ للمقبور بِدَلِيل قَوْله: "**إِنَّكُم تفتنون فِي قبوركم**"، وَلكنه عدل عَن خطاب الْجمع إِلَى خطاب الْمُفْرد، لِأَن السُّؤَال عَن الْعلم يكون لكل وَاحِد بِانْفِرَادِهِ واستقلاله. قيل: قد يتَوَهَّم أَن فِيهِ التفاتاً، لِأَنَّهُ انْتِقَال من جمع الْخطاب إِلَى مُفْرد الْخطاب، كَمَا قَالَ المرزوقي فِي شرح"الحماسة"فِي قَوْله: أحمي أباكن يَا لِيلى الأماديح

٦ ينظر: صحيح البخارى ٢٨/١ بَاب تَحْرِيضِ النَّبِيِّ ﷺ وَفْدَ عَبْدِ القَيْسِ عَلَى أَنْ يَحْفَظُوا الإِيمَانَ وَالعِلْمَ وَيُخْبِرُوا مَنْ وَرَاءَهُمْ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إنه الْتِفَات، وكما فِي قَوْله تَعَالَى ﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ [الطَّلَاق: ١] قلت: الْجُمْهُور من أهل الْمعَانِي على خلاف ذَلِك، وَلَا يُسمى هَذَا التفاتاً إِلاَّ على قَول من يَقُول: إِن الِالْتِفَات هُوَ انْتِقَال من صِيغَة إِلَى صِيغَة أُخْرَى، سَوَاء كَانَ من الضمائر بَعْضهَا إِلَى بعض، أَو من غَيرهَا، وَالتَّفْسِير الْمَشْهُور أَن الِالْتِفَات هُوَ التَّعْبِير عَن معنى بطرِيق من الطّرق الثَّلَاثَة بعد التَّعْبِير عَنهُ بطرِيق آخر من الطّرق الثَّلَاثَة، وَهِي التَّكَلُّم وَالْخطاب والغيبة. أما الشَّعْر فَإِن فِيهِ تَخْصِيص الْخطاب بعد التَّعْمِيم الْكَون الْمَقْصُود الْأَعْظَم هُوَ خطاب ليلى، وَأما الْآيَة فقد قَالَ الزَّمَخْشَرِيّ: خص النَّبِي، ﷺ، بالنداء، وَعم بِالْخِطَابِ؛ لِأَن النَّبِي ﷺ إِمَام أمته وقدوتهم، كَمَا يُقَال لرئيس الْقَوْم وَكَبِيرهمْ: يَا فلَان افعل كَيْت وَكَيْت؛ إِظْهَارًا لتقدمه واعتباراً لترؤسه، وَأَنه مدَرَة قومه ولسانهم، وَالَّذِي يصدر عَنْهُم رَأْيه وَلَا يستبدون بِأَمْر دونه، فَكَانَ هُوَ وَحده فِي حكم كلهم وساداً مسد جَمِيعهم". (٧)

فالظاهرُ من توجيه العيني ،أنه يتبع رأى الجمهور في قصر مصطلح الالتفات ،على المخالفة في الضمائر ، ولا يذهب إلى توسيع الدائرة في مفهوم المصطلح، وتأمل قوله :"والتفسير المشهور حتى والغيبة".

مفهوم الالتفات بين الجمهور والزمخشرى وإلى أي كان العيني يميل:

إذا كان البلاغيون- فيما سبق- قد اختلفوا فى تحديد مفهوم الالتفات، في حصره في نطاق الضمائر ، أو عدم حصره فيها، فإن الذين حصروه في نطاق الضمير قد انشقت العصا بينهم على وجهتين :

الوجهة الأولى: وهى وجهة الجمهور ، وهى تكمن في تعريف الخطيب للالتفات بأنه :"التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاث بعد التعبير عنه بطريق آخر منها.(٨) فهم يشترطون أن يتقدم أحد أنواع الضمائر **(الخطاب أو الغيبه أو التكلم)** ثم يعدل عنه إلىنوع أخر منها، ومن ثم لا يتحقق مفهوم الالتفات عندهم في أول الكلام ، سواء وافق مقتضى الظاهر أو خالفه.

٧- ينظر: عمدة القارى ٩٧/٢
٨- ينظر: الإيضاح ٨٦/٢/١

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فقول القائل:- وهو يعني نفسه - ويحك ما فعلت ، وما صنعت ، ليس
لإخبار عند الجمهور ، وإن كان مقتضى الظاهر أن يقول ويحى ما فعلت وما صنعت،
وإنما الكلام مبناه على أسلوب التجريد.

الوجهة الثانية: وهى وجهة الزمخشري وتابعه السكاكي فيها ، وهى :أن
عبر بطريقة من هذه الطرق (الخطاب والغيبه والتكلم)، عما عبر عنه بغيره، أو كان
مقتضى الظاهر أن يعبر عنه بغيره ، وهذا القيد الأخير خالف فيه الجمهور، ومن ثم
فإنما - في المثال السابق- **ويحك ما فعلت**، يعد التفاتا عندهم؛ لأنه عبر عن
المتكلم بطريق المخاطب، وكان مقتضى الظاهر أن يعبر عنه بطريق التكلم.

فالعلاقة بين الرأيين علاقة عموم وخصوص؛ ولهذا قال الخطيب :"فكل
التفات عندهم (يعنى الجمهور) التفات عنده - يعنى السكاكي من غير عكس.[٩]

موقف العيني من الرأيين:-

تتبعت توجيهات الإمام العيني؛ فأبصرت في كثير من الأحاديث، أن الإمام
العيني يعرض للوجهين دون أن يفصح عن رأيه، أو أن يكشف عن وجهته؛ فتراه
ينكر أن الأسلوب على الالتفات أو على التجريد، ولا يجزم بأحدهما، كما نرى ذلك
ماثلا في توجيهه لحديث رسول الله ﷺ عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: **بُعِثَ
إِلَى نُسَيْبَةَ الأَنْصَارِيَّةِ بِشَاةٍ، فَأَرْسَلَتْ إِلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مِنْهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ
ﷺ : «عِنْدَكُمْ شَيْءٌ؟» فَقُلْتُ: لاَ، إِلَّا مَا أَرْسَلَتْ بِهِ نُسَيْبَةُ مِنْ تِلْكَ الشَّاةِ، فَقَالَ:
«هَاتِ، فَقَدْ بَلَغَتْ مَحِلَّهَا**"[١٠]

قال العيني: "كَانَ مُقْتَضى هَذَا أَن يَقُول فِي رِوَايَة البُخَارِيّ: بعث إِلَيّ، بِلَفْظ
ضمير الْمُتَكَلّم الْمَجْرُور، لَكِن وضع الظَّاهِر مَوضِع الْمُضمر، إِمَّا على سَبِيل

٩- ينظر: الإيضاح وانظر خصائص التراكيب ص٢٥٠ وانظر أسلوب الالتفات في البلاغة
القرآنية د/حسن طبل ص٢٥ دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م
١٠-ينظر: صحيح البخارى ١١٥/٢، ١١٦ بَابُ فَضْلِ كَمْ يُعْطَى مِنَ الزَّكَاةِ وَالصَّدَقَةِ وَمَنْ أَعْطَى
شَاةً

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الالتفات، وإمّا على سَبيل التَّجْريد من نفسها شخصا اسْمه نَسيبة".(١١)، فتَرك توجيهه يحمل الوجهتين دون أن يعتضد لواحد منها.

وتأمل توجيهه كذلك في حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضى الله عنه، قَالَ: "صَحِبْتُ جَرِيرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، فَكَانَ يَخْدُمُنِي وَهُوَ أَكْبَرُ مِنْ أَنَسٍ" قَالَ جَرِيرٌ: "إِنِّي رَأَيْتُ الأَنْصَارَ يَصْنَعُونَ شَيْئًا، لاَ أَجِدُ أَحَدًا مِنْهُمْ إِلَّا أَكْرَمْتُهُ" .(١٢)

يقول العيني :"فى توجيهه قوله: "وَهُوَ أكبر من أنس" فِيهِ الْتِفَات أَو تَجْرِيد. وَكَانَ مُقْتَضى الظَّاهِر أَن يَقُول: وَهُوَ أكبر مني". (١٣)

ومن هذا الشكل ما جاء في حديث عِكْرِمَةَ: "أَنَّ رِفَاعَةَ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ، فَتَزَوَّجَهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الزَّبِيرِ القُرَظِيُّ، قَالَتْ عَائِشَةُ: وَعَلَيْهَا خِمَارٌ أَخْضَرُ، فَشَكَتْ إِلَيْهَا وَبِهَا خُضْرَةٌ بِجِلْدِهَا، فَلَمَّا جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَالنِّسَاءُ يَنْصُرُ بَعْضُهُنَّ بَعْضًا، قَالَتْ عَائِشَةُ: مَا رَأَيْتُ مِثْلَ مَا يَلْقَى المُؤْمِنَاتُ؟ لَجِلْدُهَا أَشَدُّ خُضْرَةً مِنْ ثَوْبِهَا. قَالَ: وَسَمِعَ أَنَّهَا قَدْ أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَجَاءَ وَمَعَهُ ابْنَانِ لَهُ مِنْ غَيْرِهَا، قَالَتْ: وَاللَّهِ مَا لِي إِلَيْهِ مِنْ ذَنْبٍ، إِلَّا أَنَّ مَا مَعَهُ لَيْسَ بِأَغْنَى عَنِّي مِنْ هَذِهِ، وَأَخَذَتْ هُدْبَةً مِنْ ثَوْبِهَا، فَقَالَ: كَذَبَتْ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي لَأَنْفُضُهَا نَفْضَ الأَدِيمِ، وَلَكِنَّهَا نَاشِزٌ، تُرِيدُ رِفَاعَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " فَإِنْ كَانَ ذَلِكِ لَمْ تَحِلِّي لَهُ، أَوْ: لَمْ تَصْلُحِي لَهُ حَتَّى يَذُوقَ مِنْ عُسَيْلَتِكِ " قَالَ: وَأَبْصَرَ مَعَهُ ابْنَيْنِ لَهُ، فَقَالَ: «بَنُوكَ هَؤُلَاءِ» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: هَذَا الَّذِي تَزْعُمِينَ مَا تَزْعُمِينَ، فَوَاللَّهِ، لَهُمْ أَشْبَهُ بِهِ مِنَ الغُرَابِ بِالْغُرَابِ".(١٤)

يقول العينى:" قَوْله :"فشكت إِلَيْهَا" أَي إِلَى عَائِشَة وَفِيه الْتِفَات أَو تَجْرِيد" .(١٥)

وهذا الصنيع هو الغالب على توجيهات العيني ، أنه لا يجزم بأحد الرأيين ، إنما تراه يوجه الوجهتين، بيد أنى وجدته في مواضع أخرى ، يتبع خطى جار الله الزمخشرى ،والإمام السكاكى ، ويجزم برأيهما في التوجيه ،يقول في توجيه قوله

١١-ينظر: عمدة القارى ٣١٣/٨
١٢-ينظر: صحيح البخارى ٣٥/٤ بَاب فَضْلِ الْخِدْمَةِ فِي الْغَزْوِ
١٣-ينظر: عمدة القارى١٤/١٧٣
١٤-ينظر: صحيح البخاري٧/ ١٤٨، ١٤٩ بَاب ثِيَابِ الْخُضْرِ
١٥-ينظر: عمدة القارى ٦/٢٢

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في حديث أبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضى الله عنه ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ: "كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ إِنْسَانًا، ثُمَّ خَرَجَ يَسْأَلُ، فَأَتَى رَاهِبًا فَسَأَلَهُ بَابَ الرَّجُلِ: إِنَّ قَرْيَةَ كَذَا وَكَذَا، فَأَدْرَكَهُ المَوْتُ، فَنَاءَ بِصَدْرِهِ نَحْوَهَا، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلاَئِكَةُ العَذَابِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى هَذِهِ أَنْ تَقَرَّبِي، وَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى هَذِهِ أَنْ تَبَاعَدِي، وَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَهُمَا، فَوُجِدَ إِلَى هَذِهِ أَقْرَبَ بِشِبْرٍ، فَغُفِرَ لَهُ". (١٦)

يقول العيني في قوله :"فقال له هل من توبة؟ يَعْنِي: فَقَالَ للراهب: هَل من تَوْبَة لي؟ قَالَ بعض شراحه... وَفِيه تَجْرِيد ،لِأَن حق الْقيَاس أَن يَقُول: أَلِي تَوْبَة؟ قلت: لَيْسَ هَذَا بتجريد، وَإِنَّمَا هُوَ الْتِفَات". (١٧)

وفى حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: "اخْتَصَمَتِ الجَنَّةُ وَالنَّارُ إِلَى رَبِّهِمَا، فَقَالَتِ الجَنَّةُ: يَا رَبِّ، مَا لَهَا لاَ يَدْخُلُهَا إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ، وَقَالَتِ النَّارُ: - يَعْنِي - أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: أَنْتِ عَذَابِي، أُصِيبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا، قَالَ: فَأَمَّا الجَنَّةُ، فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا، وَإِنَّهُ يُنْشِئُ لِلنَّارِ مَنْ يَشَاءُ، فَيُلْقَوْنَ فِيهَا، فَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، ثَلاَثًا، حَتَّى يَضَعَ فِيهَا قَدَمَهُ فَتَمْتَلِئُ، وَيُزَدُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَتَقُولُ: قَطْ قَطْ قَطْ" (١٨)

قال العيني :"قَوْله: فَقَالَت الْجنَّة": يَا رب مَا لَهَا هُوَ على طَرِيقَة الإلْتِفَات. (١٩)

فالأصل: "مالي لا يدخلني" ونراه لم يحمل الكلام على طريقة التجريد؛ ومن ثم إذا كان الإمام العيني في مواضع لا يجزم برأيه، ويعرض للوجهتين ، دون ما ينتصر لإحدى الوجهتين فإننا نراه في هذه المواطن ينتصر لوجهة الزمخشري

١٦-ينظر: صحيح البخارى١٧٤/٤ بَاب حَدِيثُ الْغَارِ
١٧-ينظر: عمدة القارى ٥٦/١٦
١٨-ينظر: صحيح البخارى١٣٤/٩ بَاب مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾
١٩-ينظر: عمدة القارى ١٣٧/٢٥

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والسكاكى، مما يحدو للباحث أن يعلن عن وجهة الإمام العينى التى يرتضيها ، وهى
انه كان يتبع خطى الإمامين جار الله الزمخشرى والسكاكى.

وفى حديث زيد بْنُ جُبَيْرٍ،" أَنَّهُ أَتَى عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي
مَنْزِلِهِ، وَلَهُ فُسْطَاطٌ وَسُرَادِقٌ، فَسَأَلْتُهُ مِنْ أَيْنَ يَجُوزُ أَنْ أَعْتَمِرَ؟ قَالَ: "فَرَضَهَا رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ لِأَهْلِ نَجْدٍ قَرْنًا، وَلِأَهْلِ المَدِينَةِ ذَا الحُلَيْفَةِ، وَلِأَهْلِ الشَّأْمِ الجُحْفَةَ".(٢٠)

قال العيني: "قوله: "فسألته"، فيه الْتِفَات لِأَنَّهُ قَالَ أولا: إنه أَتَى ابْن عمر،
فَكَانَ السِّيَاق يَقْتَضِي أَن يَقُول: فسَأَلَهُ ".(٢١)

الالتفات في معالجة الإمام العيني:

حَرِيٌ بالباحث أن يذكر أن تناول الإمام العيني لم يكن على قدم واحدة، إنما
تراه فى مواطن يقول:" في الكلام التفات" (٢٢)، وفى مواطن يزيد فيذكر جهة الالتفات
(٢٣) ،وأنه من كذا إلى كذا ، وفى مواطن يذكر "فائدة الالتفات" (٢٤)، وفى رابعة
ينص على الفائدة الخاصة للالتفات (٢٥).

فعن عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ طَرَقَهُ وَفَاطِمَةَ - عَلَيْهَا
السَّلَامُ - بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ لَهُمْ: "أَلاَ تُصَلُّونَ؟"، فَقَالَ عَلِيٌّ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ
اللَّهِ، إِنَّمَا أَنْفُسُنَا بِيَدِ اللَّهِ، فَإِذَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَنَا بَعَثَنَا، فَانْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ قَالَ
لَهُ ذَلِكَ، وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيْهِ شَيْئًا، ثُمَّ سَمِعَهُ وَهُوَ مُدْبِرٌ، يَضْرِبُ فَخِذَهُ وَهُوَ يَقُولُ: (وَكَانَ
الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا)".(٢٦)

يقول العيني :"في توجيه قوله:"حِين قَالَ لَهُ ذَلِك" فِيهِ الْتِفَات".(٢٧)

٢٠-ينظر: صحيح البخارى١٣٣/٢ بَابُ فَرْضِ مَوَاقِيتِ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ
٢١-ينظر: عمدة القارى ١٣٧/٩
٢٢-ينظر عمدة القارى ١٢٣/١٠ ، ١٦٧/١٠ ، ١٤٦/١٢ ، ١٧٣/١٤
٢٣-عمدة القارى ٢٧٧/٢، ٢٤٣/١١، ٢٩٦/١٤، ٢٥٧/١٧، ١٥/١٨، ٩٨/٢٠
٢٤-عمدة القارى ٨٠/١٩
٢٥-عمدة القارى ٢٧٧/٢
٢٦-صحيح البخاري ١٠٦/٩، ١٠٧ بَاب قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ وَقَوْلِهِ
تَعَالَى ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾
٢٧-عمدة القارى ٦٣/٢٥ وينظر كذلك مواضع أخرى للالتفات ١٨٢/٢، ١٢٥/٦، ١٣٧/٩،
١٢٣/١٠، ١٦٧/١٠، ٩٨/٢٠، ١٦٢/٢٥

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نرى الإمام العيني في توجيه قوله : "فانصرف حين قال ذلك" يقول: فيه التفات فتراه اكتفى بوصف الظاهرة ، وهو التفات من التكلم إلى الخطاب، وأصل الكلام "حين قلنا له ذلك"،وقد جاءت بعض الروايات على ذلك الأصل.

وفي قوله ﷺ عَنْ أَنسٍ رضى الله عنه: " أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رضى الله عنه، لَمَّا اسْتُخْلِفَ بَعَثَهُ إِلَى البَحْرَيْنِ وَكَتَبَ لَهُ هَذَا الكِتَابَ وَخَتَمَهُ بِخَاتَمِ النَّبِيِّ ﷺ، وَكَانَ نَقْشُ الخَاتَمِ ثَلاَثَةُ أَسْطُرٍ مُحَمَّدٌ سَطْرٌ، وَرَسُولُ سَطْرٌ، وَاللَّهِ سَطْرٌ".(٢٨)

قال العيني "قَوْله: (بَعثه)، فِيهِ الْتِفَات من الْغَائِب إِلَى الْحَاضِر، وَأَصله: بَعثنِي".(٢٩)

فنراه نص على الظاهرة ونوه على الالتفات ، ويمثل هذا المعنى وجه القسطلاني هذا الحديث الشريف(٣٠)

وفي قوله ﷺ فيما روي عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الأَنْصَارِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِذَا أَتَى أَحَدُكُمُ الغَائِطَ، فَلاَ يَسْتَقْبِلِ القِبْلَةَ وَلاَ يُوَلِّهَا ظَهْرَهُ، شَرِّقُوا أَوْ غَرِّبُوا".(٣١)

يقول العيني:" فِيهِ أسلوب الِالْتِفَات من الْغَيْبَة إِلَى الْخطاب وَإِذا وَقع الْكَلَام على أساليب مُخْتَلفَة يزْدَاد رونقا وبهجة وحسنا سِيمَا هُوَ من كَلَام أفصح النَّاس ".(٣٢)

وأسلوب الغيبة واضح في الاسم الظاهر "أحدهم" وفى ضمير الغيبة المستتر في"يستقبل" وفى" يولها" ثم جاء الالتفات في الخطاب في قوله ﷺ (شرقوا أو غربوا) ونرى في كلام العيني التنويه على النكتة العامة للالتفات، وهى: وإذا وقع الكلام على أساليب مختلفة..... .(٣٣)

٢٨-ينظر: صحيح البخاري٤/٨٢ ، ٨٣ بَاب مَا جَاءَ فِي بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ وَمَا نُسِبَ مِنْ الْبُيُوتِ إِلَيْهِنَّ وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ وَ ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾

٢٩- ينظر: عمدة القارى ٣١/١٥

٣٠- ينظر: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ١٩٩/٥ قوله :(بعثه إلى البحرين)" تثنية بحر بلد مشهور بين البصرة وعمان، وكان الأصل أن يقول بعثني لكنه من باب الالتفات من الغائب إلى الحاضر ".

٣١-ينظر: صحيح البخاري١/٤١ بَاب لَا تُسْتَقْبَلُ الْقِبْلَةُ بِغَائِطٍ أَوْ بَوْلٍ إِلَّا عِنْدَ الْبِنَاءِ جِدَارٍ أَوْ نَحْوِهِ

٣٢- ينظر: عمدة القارى ٢٧٧/٢

٣٣-نفسه ٢٧٧/٢

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ورابعه: يبرز العيني النكتة البلاغية الخاصة للالتفات في موضعه، ففي صحيح البخاري في **قَوْله: (ظن الْمُؤْمِنُونَ)** قال العيني: "فِيهِ الْتِفَات من الْخطاب إِلَى الْغَيْبَة لِأَن الأَصْل: لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمْ ظننتم وقلتم، وَذَلِكَ **للتوبيخ**، وَقيل: تَقْدِير الْآيَة: هلا ظننتم كَمَا ظن الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَات؟ قوله:**(مَا يكون لنا أن نتكلم بِهَذَا)** قَالَ العيني :"أي لَا يحل لنا أَن نَخُوض فِي هَذَا الحَدِيث، وَمَا يَنْبَغِي لنا أَن نتكلم بِهَذَا سُبْحَانَك، للتعجب من عظم الْأَمر".(٣٤)

صور الالتفات عند الإمام العيني :-

إذا كان البلاغيون قد ذكروا للالتفات ست صور ، فإني وقفت على أربع صور منها عند الإمام العيني ، وهي:

أ - الالتفات من الغيبة إلى التكلم.

ب - الالتفات من التكلم إلى الغيبة.

ج- الالتفات من الخطاب إلى الغيبة.

د- الالتفات من الغيبة إلى الخطاب.

أ- الالتفات من الغيبة إلى التكلم :-

ومن هذا النوع ما جاء في توجيه العيني لحديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ قَالَ: "**بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْثًا قِبَلَ السَّاحِلِ، فَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الجَرَّاحِ وَهُمْ ثَلاَثُ مِائَةٍ، وَأَنَا فِيهِمْ، فَخَرَجْنَا حَتَّى إِذَا كُنَّا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ فَنِيَ الزَّادُ، فَأَمَرَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِأَزْوَادِ ذَلِكَ الجَيْشِ، فَجُمِعَ ذَلِكَ كُلُّهُ، فَكَانَ مِزْوَدَيْ تَمْرٍ، فَكَانَ يُقَوِّتُنَا كُلَّ يَوْمٍ قَلِيلًا قَلِيلًا حَتَّى فَنِيَ، فَلَمْ يَكُنْ يُصِيبُنَا إِلَّا تَمْرَةٌ تَمْرَةٌ، فَقُلْتُ: وَمَا تُغْنِي تَمْرَةٌ، فَقَالَ: لَقَدْ وَجَدْنَا فَقْدَهَا حِينَ فَنِيَتْ، قَالَ: ثُمَّ انْتَهَيْنَا إِلَى البَحْرِ، فَإِذَا حُوتٌ مِثْلُ الظَّرِبِ، فَأَكَلَ مِنْهُ ذَلِكَ الجَيْشُ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، ثُمَّ أَمَرَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِضِلَعَيْنِ مِنْ أَضْلاَعِهِ، فَنُصِبَا ثُمَّ أَمَرَ بِرَاحِلَةٍ، فَرُحِلَتْ ثُمَّ مَرَّتْ تَحْتَهُمَا فَلَمْ تُصِبْهُمَا".**(٣٥)

قال العيني:" **قوله: فخرجنا فِيه الْتِفَات من الْغَيْبَة إِلَى التَّكَلُّم** ".(٣٦)

٣٤-ينظر: عمدة القاري ٨٠/١٩

٣٥-ينظر: صحيح البخاري١٣٧/٣ بَاب الشَّرِكَةِ فِي الطَّعَامِ وَالنَّهْدِ وَالْعُرُوضِ

٣٦-ينظر: عمدة القارى ١٥/١٨

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الالتفات إلى ضمير المتكلم أعطى الكلام مذاقا خاصا ،إنه الإحساس والشعور بمعنى الأخوة والجماعة، فليس أمير القوم بمتعال على أصحابه، يخرج وحده في موكب مزين ،إنما يخرج مع من معه يحوطهم ويرعاهم، وهذا ما جاء به أسلوب الالتفات في الحديث، والله أعلم.

ب- **الالتفات من التكلم إلى الغيبة:**

و من هذا النمط ما جاء في توجيه العيني لحديث **إِيَاسِ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ**، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: " أَتَى النَّبِيَّ ﷺ عَيْنٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَهُوَ فِي سَفَرٍ، فَجَلَسَ عِنْدَ أَصْحَابِهِ يَتَحَدَّثُ، ثُمَّ انْفَتَلَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : **"اطْلُبُوهُ، وَاقْتُلُوهُ" فَقَتَلَهُ، فَنَفَّلَهُ سَلَبَهُ** "(٣٧).

قال العيني: " **قَوْله: "فَقَتله"** أَي: فَقتله سَلمَة. وَفِيه الْتِفَات من الْمُتَكَلّم إِلَى الْغَائِب، وَالْقِيَاس: فَقتلته، بالإخبار عَن نَفسه كَمَا فِي رِوَايَة أبي دَاوُد، وَهَكَذَا روى أَيْضا هُنَا. قَوْله: **"فنفله"** ، أَي: فنفل رَسُول الله، ﷺ ، سلب هَذَا الْعين سَلمَة، وَفِيه الْتِفَات أَيْضا، وَالْقِيَاس فَقتلته ونفلني سلبه، أَي: أعطَاهُ مَا سلب مِنْهُ" . (٣٨)

"وفى الالتفات من التكلم إلى الغيبة لفتة من هذا الصحابي، إنها إنكار الذات، وعدم الحديث عنها، أو عدم نسبة الشيء إليها ، ولا غرو فهم أصحاب رسول الله ﷺ الذين لو انفق أحدنا مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهما ولا نصيفه .

وكذلك جاء في توجيهه لحديث ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ:" أَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضى الله عنه : أَنَّهُ كَانَ ابْنَ عَشْرِ سِنِينَ، مَقْدَمَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ المَدِينَةَ، فَخَدَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَشْرًا حَيَاتَهُ، وَكُنْتُ أَعْلَمَ النَّاسِ بِشَأْنِ الحِجَابِ حِينَ أُنْزِلَ، وَقَدْ كَانَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ يَسْأَلُنِي عَنْهُ، وَكَانَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ فِي مُبْتَنَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِزَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، «أَصْبَحَ النَّبِيُّ ﷺ بِهَا عَرُوسًا، فَدَعَا القَوْمَ ؛ فَأَصَابُوا مِنَ الطَّعَامِ ثُمَّ خَرَجُوا، وَبَقِيَ مِنْهُمْ رَهْطٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَطَالُوا المُكْثَ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَخَرَجَ وَخَرَجْتُ مَعَهُ كَيْ يَخْرُجُوا، فَمَشَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَشَيْتُ مَعَهُ، حَتَّى جَاءَ عَتَبَةَ حُجْرَةِ عَائِشَةَ، ثُمَّ ظَنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُمْ خَرَجُوا، فَرَجَعَ وَرَجَعْتُ مَعَهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى

٣٧-ينظر: صحيح البخاري٤/٦٩ بَاب الْحَرْبِيِّ إِذَا دَخَلَ دَارَ الْإِسْلَامِ بِغَيْرِ أَمَانٍ .

٣٨-ينظر: عمدة القارى ١٤/٢٩٦

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

زَيْنَب، فَإِذَا هُمْ جُلُوسٌ لَمْ يَتَفَرَّقُوا، فَرَجَعَ رَسُولُ اللَّه ﷺ ورجعتُ معهُ، حتى بلغ عتبة حُجْرَةِ عَائِشَةَ، فَظَنَّ أَنْ قَدْ خَرَجُوا، فَرَجَعَ ورجعتُ معهُ، فَإِذَا هُمْ قَدْ خَرَجُوا، فَأَنْزَلَ اللهُ الحِجَابَ، فَضَرَبَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ سِتْرًا" (٣٩)

قال العيني :"قَوْله: "أنه كَانَ"فِيهِ الْتِفَات من التَّكَلُّم إِلَى الْغَيْبَة أو عبر عن نفسه شخصا آخر يحكى عَنهُ". (٤٠)

ومنه حديث عَائِشَةَ،" أَنَّ أَفْلَحَ، أَخَا أَبِي الْقُعَيْسِ جَاءَ يَسْتَأْذِنُ عَلَيْهَا، وَهُوَ عَمُّهَا مِنَ الرَّضَاعَةِ، بَعْدَ أَنْ نَزَلَ الحِجَابُ، فَأَبَيْتُ أَنْ آذَنَ لَهُ، فَلَمَّا جَاءَ رَسُولُ اللَّه ﷺ أَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي صَنَعْتُ "فَأَمَرَنِي أَنْ آذَنَ لَهُ"(٤١)

قال العيني: قَوْله: "وَهُوَ عمها من الرضاعة" فِيهِ الْتِفَات، وَكَانَ الْقيَاس يقْتَضِي أَن يَقُول: وَهُوَ عمي".(٤٢) وبهذا المعنى وجه ابن حجر والقسطلاني هذا الحديث الشريف. (٤٣)

ج- الالتفات من الخطاب إلى الغيبة :-

ومن أمثلة هذا النوع في الالتفات عند الإمام العيني ما ورد في توجيهه لحديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: " أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ الَّتِي فِي القُرْآنِ: قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝١٥﴾ [الأحزاب: ٤٥] قَالَ فِي التَّوْرَاةِ: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ المُتَوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلاَ غَلِيظٍ، وَلاَ سَخَّابٍ بِالأَسْوَاقِ، وَلاَ يَدْفَعُ السَّيِّئَةَ بِالسَّيِّئَةِ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ المِلَّةَ العَوْجَاءَ، بِأَنْ يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَيَفْتَحَ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا "(٤٤)

يقول العيني:" فى قوله :"**ليس بفظ ولا غليظ**"وَهَهُنَا الْتِفَات ؛لِأَن الْقيَاس يَقْتَضِي الْخطاب بِأَن يُقَال: وَلست، وَلَكِن الْتفت من الْخطاب إِلَى الْغَيْبَة.(٤٥)

٣٩-ينظر: صحيح البخاري ٥٣/٨ بَاب آيَةِ الْحِجَابِ
٤٠-ينظر: عمدة القارى ٢٣٨/٢٢
٤١-ينظر: صحيح البخاري١٠/٧ بَاب لَبَنِ الْفَحْلِ
٤٢-ينظر: عمدة القارى٩٨/٢٠
٤٣-ينظر: فتح الباري ١٥٠/٩ قوله :(وهو عمها من الرضاعة) "فيه التفات وكان السوق يقتضي أن يقول وهو عمي ، وإرشاد الساري لشرح صحيح البخاري٢٣/٨ قوله (عمها) "أي :عم عائشة (من الرضاعة) وكان مقتضى السياق أن تقول: وهو عمي من باب الالتفات "
٤٤-ينظر: صحيح البخاري٦/ ١٣٥، ١٣٦ بَاب ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾
٤٥-ينظر: عمدة القارى ٢٤٣/١١

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويرى الباحث :أنه في العدول من الخطاب إلى الغيبة ليست بقط ..ولا تدفع الصفات، حتى في حالة النفي ، وفي ذلك ما فيه من سمو درجته، ورفعة شأنه عند ربه ﷻ.

ومنه حديث سَعِيدَ بْنَ العَاصِ قَالَ:" بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَبَانَ عَلَى سَرِيَّةٍ مِنَ المَدِينَةِ قِبَلَ نَجْدٍ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضى الله عنه : "فَقَدِمَ أَبَانُ وَأَصْحَابُهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بِخَيْبَرَ بَعْدَ مَا افْتَتَحَهَا، وَإِنَّ خُزُمَ خُيُولِهِمْ لَلِيفٌ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لاَ تَقْسِمْ لَهُمْ، قَالَ أَبَانُ: وَأَنْتَ بِهَذَا يَا وَبْرُ، تَحْدُرُ مِنْ رَأْسِ ضَأْنٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : يَا أَبَانُ اجْلِسْ، فَلَمْ يَقْسِمْ لَهُمْ ". (٤٦)

قال العيني :" قوله :"تحدر" فِيهِ الْتِفَات من الْخطاب إلى الْغَيْبَة. (٤٧)وبهذا المعنى وجه القسطلاني هذا الحديث الشريف. (٤٨)

الالتفات من الغيبة إلى الخطاب

ومن هذا الشكل ما جاء في حديث أبي أيوب الأنصاري، قال: قال رسول الله ﷺ:"إِذَا أَتَى أَحَدُكُمُ الغَائِطَ، فَلاَ يَسْتَقْبِلِ القِبْلَةَ وَلاَ يُوَلِّهَا ظَهْرَهُ، شَرِّقُوا أَوْ غَرِّبُوا". (٤٩)

قال العيني: "فِيهِ أُسلوب الِالْتِفَات من الْغَيْبَة إِلَى الْخطاب، وَإِذا وَقع الْكَلَام على أَسَالِيب مُخْتَلفَة؛ يزْدَاد رونقا وبهجة وحسنا لاسِيمَا هُوَ من كَلَام الْفَصِيح النَّاس". (٥٠)وبهذا المعنى وجه القسطلاني هذا الحديث الشريف. (٥١)

٤٦-ينظر: صحيح البخاري ١٣٨/٥كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الْوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

٤٧-ينظر: عمدة القارى ٢٥٧/١٧

٤٨-ينظر: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري٣٧٥/٦ قوله :(يا وبر تحدر من رأس ضأن) " وتحدر بلفظ الماضي على طريق الالتفات من الخطاب إلى الغيبة"

٤٩-ينظر: صحيح البخاري٤١/١ بَاب لا تُسْتَقْبَلُ الْقِبْلَةُ بِغَائِطٍ أَوْ بَوْلٍ إِلا عِنْدَ الْبِنَاءِ جِدَارٍ أَوْ نَحْوِهِ

٥٠-ينظر: عمدة القارى ٢٧٧/٢

٥١-ينظر: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ٢٣٥/١ قوله : (شرقوا أو غربوا) "أي خذوا في ناحية المشرق أو ناحية المغرب، وفيه الالتفات من الغيبة إلى الخطاب وهو لأهل المدينة ومن كانت قبلتهم على سمتهم".

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

النتائج والتوصيات

من خلال ما تم عرضه من فصول ومباحث ، توصلت الدراسة إلى النتائج التالية :-

- جاءت المعاني المجازية للإستفهام في تناول العيني كثيرة إلا أن المعنى الأكبر كان لمعنى الإنكار؛ حتى إنه كان يتحدث عن الإنكار ومعه معنى آخر كالإنكار والزجر ، والإنكار والتوبيخ
- تنوعت معاني التعريف التنكير في تناول الإمام العيني.
- لم أجد في التعريف بالضمير إلا معني واحد وهو عموم الخطاب فيما وقف عليه.
- لم أجد في التعريف باسم الاشارة ولا باسم الموصول نماذج فيما وقف عليه.
- لقد لاحظت في تطبيق العيني على أمثلة القصر في أحاديث النبي ﷺ عدة ملاحظات:

١. يتوقف بشكل مركز على شرح أسلوب القصر في الحديث ، وبيان طريق الحصر فيه، ثم يستنتج من هذا أغراضا بلاغية وجمالية ، ويوظفها في إطار الحديث وفقا للسياق الذي ورد فيه حديث النبي ﷺ، وهي أحاديث قليلة ، لكنا يمكن أن نستنتج منها المنهج المثالي الذي سار عليه العيني في تناوله لأحاديث القصر.
٢. أنه توقف أمام بعض أمثلة القصر ولم يتوسع في الشرح والتحليل ، وإنما أوجز القول في بيان الأغراض البلاغية لأسلوب القصر بشكل موجز. وكأنه يقول : هذا حديث يعرف معناه قياسا على ما سبق شرحه في أحاديث أخرى.
٣. هناك نوع من الأحاديث لا تشرح ولا يبين الغرض من القصر فيها، وكأن العيني يقول: هذا حديث واضح البيان لا يحتاج إلى شرح والغرض منه لا يحتاج إلى إيضاح ويمكن للقارئ أن يستنتجها.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ذكر العيني نوعا آخر من القصر، لم يشر إليه أقطاب البلاغيين كالقزويني والسكاكي وهو (القصر بتعريف الجزءين)

نجح العيني في استقراء سياقات الحديث بشكل جيد ، وبين ما بينها من حذف ، وعول على ما قاله السابقون سواء من المفسرين أو البلاغيين أو شراح الحديث.

لقد تحول العيني في هذا اللون من الإيجاز إلى التركيز على تقنية الحذف فقط ، وتبين معناها البلاغي في النص، وأهمل دلالة النص المتبقي في المعنى الذي تؤدي إليه الظاهرة البلاغية ؛ ومن هنا وقف العيني أمام ظاهرة الحذف؛ مبينا قيمتها البلاغية أحيانا ، وموطن الحذف في موضعه، وركز العيني في الحذف على تقدير الكلمة المحذوفة من سياق الحديث وإظهار الوجه البلاغي لها في بعضها أحيانا . لا ينوقف العيني أمام فائدة بقية الحديث وأحياناً يعبر عن الحذف بلفظ اختصار.

الإمام العيني يستعين بآراء العلماء السابقين من البلاغيين والمفسرين .

- تنبه الإمام العيني لصور الإطناب، ووقف على المصطلحات البلاغية لكل منها ؛مما يعكس حسه البلاغي العالي ، ودرايته الكاملة بفن الإطناب وبلاغته.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner